الكَمْ أم الكَيْف

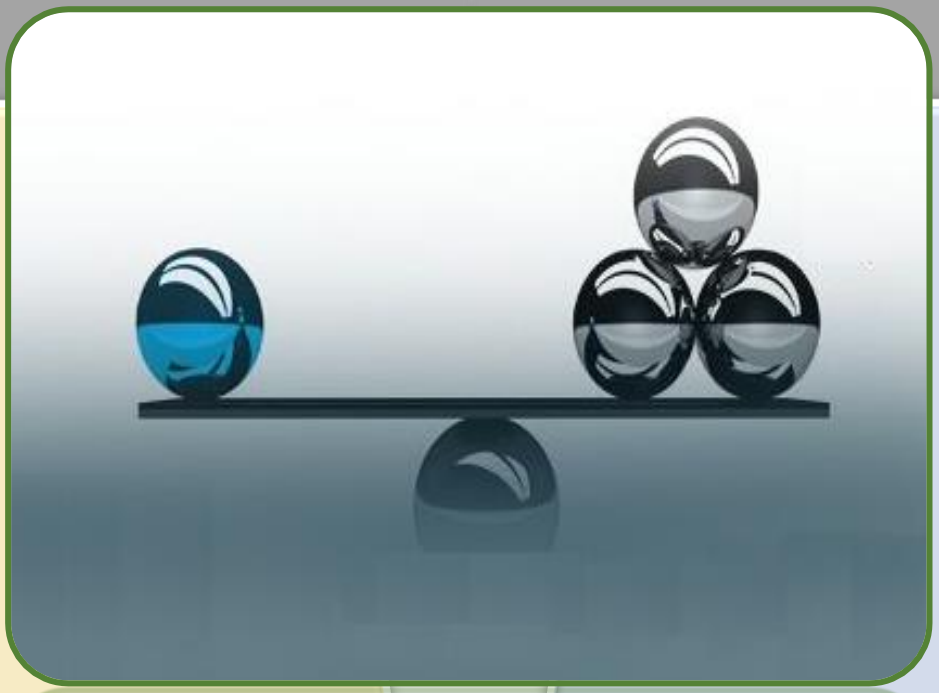

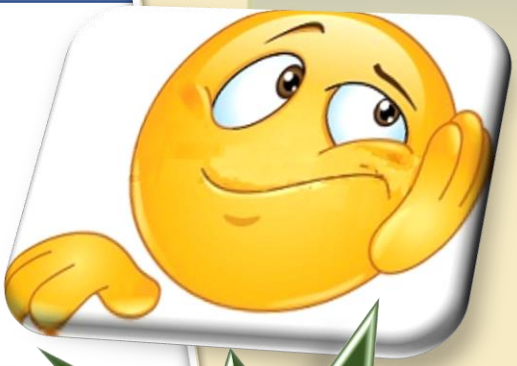

العدد

أم

الجودة

أبو الحسن الحناوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص في سطور

- الكيف (الجودة / المتانة / النوعية) والكم (العدد) مُصطلحان بسيطان يشرحان نفسيهما ، يندر اجتماعهما سوية في الحياة أو يُعدم !
- تجدهما متجاذبين بين السطور، متنافرين بكل الأمور.
- والصراع متواصل دائما بـ " الفوز الوَهْميّ " للكم .. رُغم ضعفه وخداعه لعقول بشرية كثيرة ، ولم تلتفت تلك العقول لمكره.
- ولا يُستثني مَجالاً يُذكر إلا ويَقوى بالكيف ويَترهّلُ بالكمِّ.
- لكن الإنسان بفطرته ينحازُ للكمّ ، إذا لم يتروَّ عند اتخاذ اى قرار.
- معظم الجماعات "إسلامية أوغيرأسلامية" تعمل على المبدأ الكمي (الإكثار من العدد) بشكل أكبر وهذا ما يمكن أن يُبدد الجماعات ويَفُتَّ في عَضُدِها.
- وذلك الكلام ينطبق كذلك على الجيوش في الحروب.
- إنَّ منافع الكيف وعلوها ثابتٌ على منافع الكمّ في كل مناحي الحياة تربوياً واجتماعياً واقتصادياً وعبادةً وتعليمياً وإعلامياً وسياسياً.. الخ
- مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى.
- والإحسان أعمّ وأشمل من الإتقان.
- الإمداد الإلـهي ينزل على العامل بحسب عمله فكلٌّ من كان عمله أتقن وأكمل فالحسنات تتضاعف أكثر، وإذا أكثر العبدُ ، أحبه الله تعالى!!

تمهـــيد

- الكيف والكم مُصطلحان بسيطان يشرحان نفسيهما ، يندر اجتماعهما سوية في الحياة أو يُعدم !
- تجدهما متجاذبين بين السطور، متنافرين بكل الأمور.
- معنى الكيف (الجودة / المتانة / النوعية) والكم (العدد) باختصار ..

يقول الكم : أنا أتفوق عليك أيها الكيف ، فأنا ومعي تسعة آخرون نَبرَحُك ضرباً وننالُ منك ؛ فأنت واحد ونحن عشرة.

فيجيبه الكيف واثقاً ثابتاً: على كثرتِكم فإنكم تُغلبون بعد دقيقة واحدة، فأنتم مجتمعين لا تملكون القوة التي مُنحت لي.

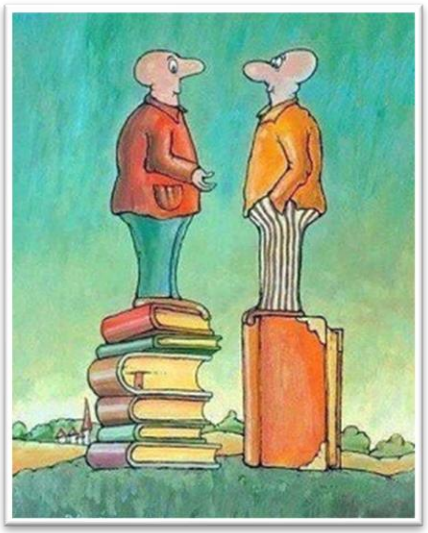

والصراع متواصل دائما بـ " الفوز الوَهْميّ " للكم رُغم ضعفه وخداعه لعقولٍ بشريةٍ كثيرة لم تلتفت (تلك العقول) لمكره إلا بعد حدوث:

- ✓ هزيمة منكرة
- ✓ أو خسارة فادحة
- ✓ أو ضعف مُقعِد ، مُثبّط

- حينها .. تُخرج العقول من حالة اللاوعي التي تَسكنُهُ .. إلى حالة من الوعي تبصر بها القوة التي زرعها الله في الكيف وهي مصدرٌ يكفلُ لها الفوز والربح !!

- ولا يُستثني مَجالاً يُذكر إلا ويَقوى بالكيف ويَترهّلُ بالكمِّ.
- لكن الإنسان بفطرته ينحازُ للكمّ ، إذا لم يتروَّ عند اتخاذ اى قرار.

الحكمة في تغليب الكمّ

- الأعداد دائماً ما تستهوي عقل الإنسان وتخدعه ، فما الفائدة من الكم إذا لم يتوفر فيه درجة المناسبة من الكيف؟

لكن مبدأ الكيف (الإعتناء بالجودة) للأسف هو متجِه إلى الذوبان والانحلال من فرطِ إهماله وهذا هو مكمن الخطر!

مثال في الجانب التربوى

- إذا نظرنا إلى معظم الجماعات "إسلامية أو غيرأسلامية" تجدها تعمل على المبدأ الكمي (الإكثار من العدد) بشكل أكبر .. أليس كذلك ؟!

فهي تسعى "من غير قصد" أن تزيد من عدد أفرادها وأتباعها بدلا من أن تسعى إلى بناء الفرد الواحد بشكل مُحكم وفعّال ..

والنتيجة: أنَّ هذا ما يمكن أن يُبدد الجماعات ويَفُتَّ في عَضُدِها.

أمثلة في الناحية العسكرية

- وذلك الكلام ينطبق كذلك على الجيوش في الحروب !!

ـ فهل أفاخر بألف جندي وهم مذبذبين .. أم مئة جندي وهم مُحْكَمين؟

ـ ألم نقرأ كم بلغ عدد المسلمين في شتى الغزوات والتفوق الكمي السافر الذي تمتع به أعداؤهم؟

ولكن التفوق الكيفي (الإعداد الجيد) عند المسلمين هو ما مكَّنَهم ونصرهم.

ألم نسمع قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

"وقس على ذلك يا من امتلكت منصبا أومقعدا تقرر فيه الكيف أم الكم"

مثال آخر في العسكرية

انهزمت روسيا عام ١٩٩٦ وانسحبت من الشيشان في حرب ضروس وكانت روسيا تمتلك آنذاك العُدّةَ والعَتاد الكمّي ؛ لقد كان لديها:

- ثلاثة ملايين جندي
- إضافة إلى الأسلحة الميدانية
- والمُساندة الجوية

" ومع ذلك هُزمت وأعلنت الشيشان انفصالها عن روسيا."

فطنت روسيا للدرس ، وقامت بإعادة هيكلة الجيش وتطويره بالاستغناء عن مبدأ الكم (كثرة العدد) الذي لم يجلب إلا الخسارة ..

واستعاضت عنه بمبدأ الكيف (الإعداد الجيد للجنود) ، بل وتلذذت بمنافع هذا المبدأ ، فقامت بتصفية جنود الجيش وتنقيتهم ، حتى بلغ عددهم نحوا من مليون ونصف المليون فقط (بدلا من 3 ملايين) .. فعاودت غزو الشيشان عام ١٩٩٩، وكانت النتيجة عودة الأخيرة إلى الحظيرة الروسية وبذلك تأتَّت ثمار الكيف.

مثال في جانب العبادة

وهكذا فإنَّ منافع الكيف وعلوها ثابت على منافع الكم في كل مناحي الحياة ..

- ✓ كقراءة القرآن ، فمن قرأ ورداً ، صفحة أو صفحات ، والتقط منه شيئاً (الكيف) ليس كمن قرأ جزءاً (الكم) ولم تُثمر قراءته شيئا :
  - من خشوع قلبٍ
  - أو استفادة علمٍ
  - أو اكتساب تقوى

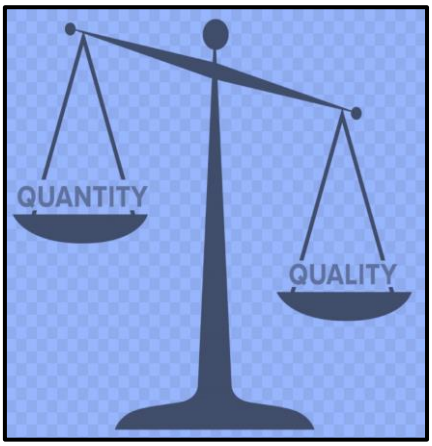

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّـهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾.

- ✓ والصلاة السريعة الكثيرة (الكم) بدون إطمئنانٍ وخشوع (الكيف)، فات صاحبها الأجر.. لقول رسولُ ﷺ: ارجِعْ فصَلِّ؛ فإنَّك لم تُصَلِّ، 3 مرات ، لأنه كان يُسرع في صلاته دون طمأنينة .. فلم يغنيه كثرة عدد الركعات عن ضرورة اقامة الصلاة كما يجب.
- ✓ والصيام دون الإنتهاء عن الفواحش واطلاق بصره ولسانه قال فيه رسول الله ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْل فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ" أى لا يُثَابُ عَلَى صِيَامِهِ.
- ✓ وهكذا الزكاة والحج والعمرة والصدقات إن لم تكن خالصة لله دون رياء أو سمعة .. فلا تقبل هذه العبادات رغم مشقتها وتكلفتها.. وكثيرة هي الأمثلة التي تخدم هذا الموضوع.

مثال في الناحية المالية

(مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى)

جزءٌ من حديث شريف ، ومعناها أن الإنسان في الدنيا إذا انكبَّ عليها فإنَّه كلما أخذ منها كلمَّا ازداد نَهَماً فلايشبع !!

فالمالُ إذا كان على قدر حاجتك ، وكفايتك ، فهو أفضلُ لك من الكثير الذي يلهيك!

ترى المرء ينشغل بمتابعة أمواله عن أداء حق الله وعن تأدية حقوق العباد، وربما قصّر في حق أسرته ووالديه وفي النهاية يأتيه الموت ، وإذا بالمال إمَّا يؤول لورثته ، أو يكون قد مات وعليه ديون فيطالب أصحاب الديون بحقوقهم ، فإذا بالإنسان :

- قد مات منشغلا عن تأدية حقوق الله والعباد (الهدف الأسمي للحياة).
- قد حُبست روحه بالقبر بسبب الدَّين إن كان مديناً لأحد.
- قد ترك المال الذى أفني حياته ليستفيد به غيره من الورثة.
- سوف يُسألُ عن كلِ مالهِ (من حلٍ كان أو حرام) وسيُحاسب عليه.

إذن صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فمَا قلَّ مَع الإنسَان مِمَا يَكفيهِ
خيرٌ له مِمَا كثُرَ وهو يُلهِيه !

إتقان العمل (الكيف)

- يقال إقامة الصلاة ، بمعني القيام بها على أكمل وجه بشروطها وأركانها وسننها (الكيف/اتقان العمل) ، وليس أداء الصلاة ، الإنتهاء من الصلاة بعدد ركعاتها بأى صورة (الكم).
- عني الإسلام بالتخفيف لأصحاب الأعذار ورخَّص للمسافر والمُجاهد وللنساء ، ليتمكن المرء من إحسان القيام بالعبادة والقدرة على ذلك.
- ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ .. تجد تفضيل المولى عزوجل لقول المعروف والمغفرة (أمرمعنوي) ، على الصدقة المادية وربما مالٌ كثير أو أشياء ثمينة (الكم) المتبوعة بمَنٍ وأذى .. فقد أفسد المَنُّ والأذى الصدقة وجردها من ثوابها.
- تقبل الله قربان هابيل؛ لصدقه وإخلاصه (الكيف/ الجودة/ الإتقان)، ولم يتقبل قربان قابيل؛ لسوء نيته ، وعدم تقواه (كم) فقط.
- عن أم المؤمنين: عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال: « إنَّ اللهَ يُحبُ إذا عمِل أحدُكم عملاً أن يُتقِنه. » وعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا ».

والإحسان أعم من الإتقان

إن الله يحبُ .. أي أن من أسباب محبة الرب للعبد الاتصاف بهذه الصفة وهي [الإتقان في العمل والإحسان] والمولى سبحانه يحب عباده المتقين وهناك أسباب أخرى التي ينال بها العبد محبة ربه ، (وكلها داخلة في معني الكيف والجودة) وهي أسبابٌ كثيرة !!

الإحسان =(الجودة في الأداء)

- يقول العلامة السعدي في تفسيره لحديث: « إن الله كتب الإحسان على كل شيء » .. وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء ..
  - فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم
  - ويدخل فيه الإحسان بالجاه
  - ويدخل فيه الإحسان بالشفاعات
  - ويدخل في ذلك الإحسان بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر
  - ويدخل في ذلك الإحسان تعليم العلم النافع للآخرين
  - ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس ، من تفريج كرباتهم وإزالة شِدّاتهم ، وعيادة مرضاهم ، وتشييع جنائزهم وإرشاد ضالهم ، وإعانة من يعمل عملاً والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك ، مما هو من الإحسان الذي أمر الله به
  - ويدخل في الإحسان أيضا ، الإحسان في عبادة الله تعالى .. والإحسان كما ذكر النبي ﷺ : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك ».

المدد الإلـهي

الإتقان في كل عملٍ يقوم به الإنسان ، هو أن يُحكِمه !

لطيفة ..

يقول بعض العلماء في ذلك:

وذلك لأنّ الإمـداد الإلـهي ينزل على العامل بحسب عمله، فكلُّما كان عمله أتقن وأكمل، فالحسنات تتضاعف له أكثر، وإذا أكثر العبدُ ، أحبَّه الله تعالى !!

مع تحيات العبد لله/

أبوالحسـن الحــنّاوى

فيينا 26 من أغسطس 2021